● هذه كلمات نوابغ لحجّة الإسلام الإمام الغزالي، تناثرت خلال كتبه أو ما كتب عنه هنا وهناك، وقد تتّبعتها، فقطفتها مُتَخيراً، فهي تشعرنا بعناية الإمام الغزالي بالعلم الحقيقي، والعمل بمقتضى العلم، وإصلاح القلوب قبل إصلاح الظاهر، وتصحيح النيّات قبل البدء في الخطوات، وتقويم الطباع، وتهذيب الأخلاق. وذلك مع استضاءته بنور القرآن الكريم، واغترافه من منهل النبوّة الطهور:

● كتب أَبو حامد الغزالي إِلى الشيخ أَبي الفتح بن سلامة:.

«قرع سمعي بأنّك تلتمس مني كلاماً وجيزاً في معرض النصح والوعظ، وإني لست أرى نفسي أهلاً له، فإن الوعظ زكاة نصابها الاتعاظ، فمن لا نصاب له كيف يخرج الزكاة؟ وفاقد النُّور كيف يستنير به غيره؟ ومتى يستقيم الظل والعود أعوج؟.

● عليك أن تجتنب طول أملك فإنّه إذا طال هاج أربعة أشياء: .

الأول: ترك الطاعة والكسل. فيها يقول: سوف أتوب وفي الأيام سعة وأنا شاب. .

والثاني: ترك التوبة وتسويفها. يقول: سوف أتوب وفي الأيام سعة، وأنا شاب وسني قليل، والتوبة بين يدي. وأنا قادر عليها متى رُمتها، وربما اغتاله الحِمَام[1] على الإصرار، واختطف الأجل قبل صلاح العمل.

والثالث: الحرص على جمع الأموال والاشتغال بالدنيا عن الآخرة. يقول: أخاف الفقر في الكبر، وربما أضعف عن الاكتساب، ولا بد لي من شيء فاضل أدخره لمرض أَو هرم أَو فقر، هذا ونحوه يحرك إِلى الرغبة في الدنيا، والحرص عليها، والاهتمام للرزق. تقول: إيش آكل، وإيش ألبس هذا الشتاء وهذا الصيف وما لي من قوت ولعل العمر يطول، فأَحتاج، والحاجة مع الشيب شديدة ولا بد لي من قوت وغنية عن الناس، وهذه وأمثالها تحرّك إِلى طلب الدنيا، والرغبة فيها، والجمع لها، والمنع لما عندك منها.

والرّابع: القسوة في القلب والنسيان للآخرة، لأنّك إذا أملت العيش الطويل لا تذكر الموت والقبر.

● سأله قبيل موته بعض أصحابه: أوصني، فقال: عليك بالإخلاص،

---

(١) الحِمَام: قضاء الموت وقدره.

عليك بالإخلاص. . . فلم يزل يكرّرها حتى مات.

- إن من لم يشكَّ لم ينظر، ومن لم ينظر لم يُبصر، ومن لم يُبصر بقي في العمىٰ والضّلال.
- من عوَّل على التّقليد هلك هلاكاً مطلقاً.
- الناسُ كلهم هلكى إلاَّ العالمون، والعالمون كلّهم هلكى إلاَّ العاملون، والعاملون كلهم هلكى إلاَّ المخلصون.
- لذّة القلب المعرفة، وكلما كانت المعرفة أكبر كانت اللَّذّة أكبر.
- كلُّ علم لا أمان معه، فليس بعلم يقيني.
- من جهل نفسه جهل ربه.
- السعادة كلها في أن يملك الإنسان نفسه، والشقاوة في أن تملكه نفسه.
- الدنيا مزرعة الآخرة، وهي منزل من منازل الهدى، وإنما سميت (دنيا) لأنها أدنى المنزلتين.
- ليس الورع في الجبهة حتى تُقَطَّب، ولا في الخدِّ حتى يصفرَّ، ولا في الظَّهر حتى ينحني، ولا في الرَّقبة حتى تطأطىء، ولا في الذّيل حتى يُضمَّ، إنَّما الورع في القلوب، أما من تلقاه ببشر فيلقاك بعبوس، يمن عليك بعلمه، فلا أكثر الله في المسلمين من مثله.
- أشدُّ النّاس حماقة أقواهم اعتقاداً في فضل نفسه، وأثبت النّاس عقلاً أشدُّهم اتهاماً لنفسه.

- الشياطين جنود مجنَّدة، ولكلٍّ نوع من المعاصي شيطان يخصّه ويدعو إليه.
- مثل الإنسان في عمره مثل رجل كان يبيع الثّلج في وقت الصَّيف، ولم تكن له بضاعة سواه، فكان ينادي ويقول: ارحموا من رأس ماله يذوب.
- مفاتيح القلوب بيد الله، يفتحها إذا شاء، كما شاء، بما يشاء.
- الزُّهد هو الزُّهد في الزُّهد.
- النيَّة روح العمل.
- النيَّة والعمل بهما تمام السَّعادة.
- المباح قد يصير أفضل من العبادة إذا حضرت فيه النيَّة.
- الإيمان قول باللِّسان، وتصديق بالجنان، وعمل بالأركان.
- ليس المقصود من الزَّكاة إزالة الملك، بل إزالة رذيلة البخل.
- صدور الأحرار قبور الأسرار.
- كلام العشّاق في حال السكر يطوى ولا يحكى[1].
- الهموم بقدر الهمِّ.
- الوعظ زكاة نصابه الاتعاظ، ومن لا نصاب له، كيف يُخرج الزَّكاة؟.

---

(١) يقصد بالعشّاق: الصُّوفية الذين يهيمون بحبِّ ربِّهم تبارك وتعالى، وقد عرّف أحدُ الصوفية السُّكر بقوله: السُّكر غليان القلب عند معارضات ذكر المحبوب.

- العلم بلا عمل جنون، والعمل بغير علم لا يكون.
- ما لم تعمل لم تنل الأجر.
- من علم وعمل بما علم فهو الذي يُدعى عظيماً في ملكوت السموات.
- قيل: العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك، فإذا أعطيته كلك فأنت من إعطائه إياك بعضه على خطر[1].
- لا يقف على فساد نوع من العلوم من لا يقف على منتهى ذلك العلم، حتى يساوي أعلمهم في أصل ذلك العلم، ثم يزيد عليه، ويجاوز درجته، فيطَّلع على ما لم يطَّلع عليه صاحب العلم من غور وغائلة، وإذ ذاك يمكن أن يكون ما يدَّعيه من فساد حقّاً.
- نعوذ بالله من صرعة الغافل، وكبوة الجاهل.
- لكل علم رجال.
- إنما مطلوبي العلم بحقائق الأمور.
- عند الشدائد تذهب الأحقاد.
- النصيحة السهلة، والمشكل قبولها، لأنّها في مذاق متّبعي الهوى مُرَّة.
- أدوية الشِّفاء تختلف باختلاف الدّاء، وكم من دواء ينتفع به مريض، ويستضرُّ به آخر.

---

(١) أي لست على يقين من أنه يعطيك بعضه.

- متى استوى الظِّلُّ والعود أعوج؟.
- استحقر من لا يُحسد ولا يُقذف[1].
- العاقل يعرف الحق ثم ينظر في نفس القول، فإن كان حقّاً قبله، سواء أكان قائله مبطلاً أم مُحقّاً، بل ربما يحرص على انتزاع الحقّ من أقاويل أهل الضَّلال، عالماً بأن معدن الذّهب الرَّغام[2].
- هذا غنيٌّ يتضاعف كلّ يوم ماله أضعافاً، وهو يأخذ جزافاً وينفق جزافاً[3]. وهذا ضعيف يعول ذرِّيَّة ضعافاً، يعوزه قوت يوم حتّى سأل الناس إلحافاً[4].
- ليس حُسن الخُلق مع المرأة كفّ الأذى عنها، بل احتمال الأذى منها، الحُلم عند طيشها وغضبها.
- إذا خاصمت فتوقّر[5].
- الدين شطران: أحدهما: ترك المناهي، و الآخر: فعل الطاعات.
- آداب الصحبة مع الله تعالى هي:

١ ـ إطراق الرأس.

٢ ـ غضّ الطرف.

---

(١) يقذف: يرمى بالكذب. والقذف: رمي المحصنات بالزّنى.

(٢) الرَّغام: الرمل. يقال: ألقاه في الرغام: أذلّه أهانه.

(٣) الجزاف: التخمين في البيع والشّراء، ويريد الغزالي أنّه لا يتعب ولا يدقّق.

(٤) الإلحاف: شدّة الإلحاح في السؤال. قال تعالى في سورة البقرة الآية ٢٧٣: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾: أي: غير ملحّين في سؤالهم وطلبهم الصدقة.

(٥) توقّر: من وقر: كان حليماً ورزيناً.

٣ ـ جمع الهمّ.

٤ ـ دوام الصمت.

٥ ـ سكون الجوارح.

٦ ـ مبادرة الأمر.

٧ ـ واجتناب النهي.

٨ ـ وقلة الاعتراض على القدر.

٩ ـ ودوام الذِّكر.

١٠ ـ وإيثار الحق على الباطل.

١١ ـ والإياس عن الخلق.

١٢ ـ وملازمة الفكر.

١٣ ـ والخضوع تحت الهيبة، والانكسار تحت الحياء، والسكون عن حيل الكسب ثقة بالضمان.

١٤ ـ والتوكّل على فضل الله معرفة بحسن الاختيار.

● آداب العلم هي سبعة عشر:

١ ـ الاحتمال.

٢ ـ لزوم الحلم.

٣ ـ الاعتدال.

٤ ـ الجلوس بالهيبة على سمت الوقار مع إطراق الرأس.

٥ ـ ترك الكبر على جميع العباد، إلاَّ على الظلمة زجراً لهم عن الظلم.

٦ ـ إيثار التواضع في المحافل والمجالس.

٧ ـ ترك الهزل والدعابة.

٨ ـ الرفق بالمتعلّم.

٩ ـ التأنّي بالمتعجرف.

١٠ ـ إصلاح البليد بحسن الإرشاد وترك الحرد عليه.

١١ ـ ترك الأنفة من قول لا أدري.

١٢ ـ صرف الهمّة إلى السائل.

١٣ ـ تفهم سؤاله.

١٤ ـ قبول الحجّة.

١٥ ـ الانقياد للحق بالرجوع إليه عن الهفوة.

١٦ ـ منع المتعلم عن كل علم يضرُّه.

١٧ ـ جرّه عن أن يريد بالعلم النافع غير وجه الله تعالى.

١٨ ـ صد المتعلّم عن أن يشغل نفسه بفرض الكفاية قبل الفراغ من فرض العين.

- إن قضاء الله تعالى على أربعة أوجه: قضاء الطاعات، وقضاء المعاصي، وقضاء النعم، وقضاء الشدائد.
- الفضائل وإن كانت كثيرة فتجمعها أربعة تشمل شعبها وأنواعها وهي الحكمة والشجاعة والعفّة والعدالة. فالحكمة: فضيلة القوة العقلية، والشجاعة: فضيلة القوة الغضبية. والعفّة: فضيلة القوة الشهوانية،

والعدالة: عبارة عن وقوع هذه القوى على الترتيب الواجب.

- إياكم أن تجعلوا المعقول أصلاً والمنقول تابعاً ورديفاً، فإن ذلك شنيع منفر، وقد أمرك الله بترك الشنيع والمجادلة بالأحسن، وإيّاكم أن تخالفوا الأمر فتَهلكوا وتُهلكوا وتَضلوا وتُضلوا.
- إعراب القلوب على أربعة أنواع: رفع وفتح وخفض ووقف. فرفع القلب في ذكر الله تعالى، وفتح القلب في الرضاء عن الله تعالى، وخفض القلب في الاشتغال بغير الله ووقف القلب في الغفلة عن الله تعالى.
- العلم أشرف من الجهل، فإن الجهل مثل العمى والظلمة، والعلم مثل البصر والنور.
- النصيحة سهلة، والمشكل قبولها.
- المحبة لله هي الغاية القصوى من المقامات، والذروة العليا من الدرجات، فما بعد إدراك المحبة مقام إلاَّ وهو ثمرة من ثمارها، وتابع من توابعها، كالشوق والأنس وغيرها.
- إن الحق الصريح الذي لا مراء فيه عند أهل البصائر هو مذهب السَّلف، أعني مذهب الصحابة والتابعين.
- أما الوعظ فلست أرى نفسي أهلاً له، لأن الوعظ زكاة نصابها الاتّعاظ ومن لا نصاب له كيف يخرج الزكاة، وفاقد النور كيف يستنير به غيره.
- طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلاَّ لله.